من ملامح التطور والإبداع الروائى

عند نجيب محفوظ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذه الدراسة عن ملامح تطور العالم الروائى عند نجيب محفوظ مع دراسة لرواية الشحاذ . نقسم العمل الى قسمين : —

القسم الأول : خصصته لملامح تطور العالم الروائى عند نجيب محفوظ متتبعا رحلته الابداعية التى بدأت منذ عام ١٩٣٦ . تلك المرحلة التى شملت العديد من الأعمال الفنية . وقد عرضنا فى ذلك أن الأستاذ نجيب محفوظ قد عالج الفنون الأدبية المختلفة (الشعر والقصة والرواية) ، أما الشعر فقد عالجه فى فترة مبكرة من حياته إثر تجربة عاطفية مر بها ثم ما لبث أن ترك الشعر ولأنه يحب السرد والوصف اتجه الى القصة وكتب عددا منها ثم ما لبث أن تركها لأنها لا تستوعب كل أفكاره فبدأ برحلته الروائية مع الرواية التى يرى أنها تتناسب مع أفكاره وبينا فى ذلك أيضاً ما قد سبق الأستاذ من محاولات من رواد سبقوه ثم أتى هو بدوره ليعبر ويسهل الطريق للرواية العربية

ولكل كاتب للرواية بعده ولقد بدأ نجيب محفوظ فى رحلته هذه بروايات تاريخية — **هى عبث الأقدار** ، رادوبيس ثم كفاح طيبة استلهم فيها التاريخ الفرعونى — متأثرا فى ذلك الوقت بما يعلم رد فعل النفوذ البريطانى • ولكنى لا أميل الى هذا الاتجاه فى هذا البحث المتواضع • فربما يلجأ الكاتب — أى كاتب — فى بداية حياته الى استلهام التاريخ وأشخاصه وأحداثه لأنه يجد فى ذلك الشخصية نامية متكاملة فهو يعرف عنها النشأة والشباب والكهولة كل ذلك يسير فى إطار التتابع الزمنى النامى اللازم لأى عمل قصصى • ففى التاريخ وروايته يجد الكاتب الأشخاص نامية كما يريد فكل ما عليه بعد ذلك أن يصيغها بطريقته الفنية حتى لا يكون مقلداً للتاريخ ، أما الأحداث فهى مرئية طبقا للتتابع الزمنى ومن هنا يكون استلهام التاريخ كتدريب يجد فيه الكاتب الأحداث والأشخاص ثم عندما يجد فى نفسه مقدرة على صنع أحداث مثل أحداث التاريخ وأشخاص مثل أشخاصه يبدأ فى الإبداع الخاص به وإن كان بعض الكتاب يكتبون من التاريخ ثم من عند أنفسهم ثم يعودون بعد ذلك للتاريخ مرة ثانية فلذلك مغزى آخر لسنا بصدد الحديث عنه • وقد أبرزنا فى هذه الدراسة أبرز الملامح لعالم نجيب محفوظ الروائى من خلال رواياته التى يكتبها كل فترة من خلال أبرز الملامح لتلك الروايات دونما تقرير لأننا نؤمن أن الأعمال الأدبية ملك كل قارىء يرى فيها

ما يتلاءم مع أفكاره ومعتقداته ، لقد بينا فى ذلك أن الدراسات التى دارت حول نجيب محفوظ تمثل اتجاهين .

الأول : يقسم أدب نجيب محفوظ الى ثلاثة مراحل هى :

١ ـ المرحلة التاريخية الفرعونية .

٢ ـ المرحلة الاجتماعية المعاصرة (الواقعية) .

٣ ـ المرحلة الواقعية الجديدة .

وهذا الجانب يمثله الأستاذ يوسف الشارونى والأستاذ إبراهيم الوردانى .

الثانى : فيقسم أدب نجيب محفوظ الى أربع مراحل هى :

١ ـ المرحلة التاريخية الرومانسية .

٢ ـ المرحلة الاجتماعية الواقعية .

٣ ـ المرحلة النفسية المبتورة « السراب » .

٤ ـ المرحلة التشكيلية الدرامية .

وهذا الاتجاه أقرب الى روح أدب نجيب محفوظ ويمثله د. نبيل راغب ، والأستاذ جمال الغيطانى ..

ولكن ليس معنى هذا أننا نقرر أن نجيب محفوظ كان

مؤرخاً ثم باحثاً اجتماعيا ثم عالماً نفسيا ثم فنانا تشكيلياً . وهذا أيضاً ما يراه أصحاب الاتجاهين السابقين وذلك للحقيقة العلمية والبحث .

وإنما كان ذلك من قبيل السمات البارزة لكل رواية وكل مجموعة من الروايات .

وقد اعتمدنا فى هذا الجانب من الدراسة على مجموعة من المجلات الأدبية مثل مجلة الأداب التى تصدر ببيروت وبعض المجلات الأخرى التى تصدر فى القاهرة مثل مجلة إبداع ومجلة فصول ، واعتمدنا على بعض الكتب مثبوتة بآخر البحث ولكن نود أن نشير الى واحد منها وهو كتاب « الروائيون الثلاثة » للأستاذ يوسف الشارونى لأننى اعتمدت عليه اعتمادا كبيرا لأن صاحبه أتى فيه بأقوال نجيب محفوظ وذلك من خلال أحاديث نجيب محفوظ فى المجلات والاذاعة والصحف مما يجعل البحث متفردا لأنه يعتمد على أقوال شخصية الباحث نفسها .

وبعد تلك الرحلة فى عالم نجيب محفوظ الروائى قدمنا دراسة لرواية الشحاذ — لأنها تمثل عملا عصبياً وعميقاً من أعمال نجيب محفوظ كما أنها تمثل من الناحية النفسية وضوحاً وصراحة فى الأغراض لا مثيل لها . ولأن تلك الرواية قد نالت من الدراسة الكثير فتناولها عديد من النقاد والأطباء النفسيين فعلى سبيل المثال تناولها الدكتور عبد القادر القط

والدكتور يحيى الرخاوى — طبيب نفسى — والدكتورة هدى وصفى والأستاذ يوسف الشارونى والأستاذ جمال الغيطانى وغيرهم كثيرون •

كما أن الاسم الذى أختاره نجيب محفوظ لهذه الرواية يثير كثيرا من التساؤلات ومن هنا كانت دراستنا لهذه الرواية •

ثم ختمنا الدراسة بخاتمة وثبت بالمصادر ••

وأننا من خلال هذه الدراسة لا نقرر شيئا لنا لأننا لانزال لم نصل بعد الى الطريق أو الى الدرجة التى وصل اليها أساتذتنا الكبار أو حتى النقاد الذين سبقونا لأن الأعمال الأدبية تظل دائما توحى بالجديد وكل يتناولها من جانب ويثبت رأيه فى ذلك • وأننا فى ذلك نأمل التوفيق والسداد من الله فإن نكن أصبنا فمن عند الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا •

الفصـــــل الأول

ملامـح التطـور والإبـداع الـروائى

عنـد نجيـب محفـــوظ

لـكل أمـة من الأمـم فى تاريخها الأدبى نجـد الـرواد الذين لهـم فضـل ابتـكار أو ادخـال أنـواع أدبيـة جـديدة كمـا نجـد الذين جاءوا بعـد ذلك وعمـلوا على ارسـاء هـذه الأنواع الأدبيـة واقرارها بحيث تصـبح معترفاً بهـا .

وتاريخنـا الأدبى لا يشـذ عن هـذه القـاعدة ففى مجـال القصـة ـ مثـلا ـ بمعناها الحـديث نجـد الـرواد الذين كانوا يتلمسون الطـريق لهـذا النـوع الأدبى فى لغتنـا ولئـن كنـا ننظـر الى كتاباتهم بمقيـاس اليوم فنجـد أنـه لا تتحقق فيهـا كـل العنـاصر الفنيـة التى ننشدها فيجب ألا ننسى أنـه كـان لهـم فضـل الريـادة ومن هـؤلاء الرواد المـويلحى صـاحب « حـديث عيسى بن هشـام » وغـيره ، وفى مجـال الرواية نجـد محمـد حسـين هيـكل يهـل علينـا بكتـابة « زينب » (١) تلك الروايـة التى تعـد بحـق أول روايـة تستحق هـذا اللفـظ فى أدبنـا الحـديث .

---

(١) قـال يحيى حقى عن « زينب » إنهـا احسـن قصـة تصـف الريف المصـرى فى ادبنـا الحـديث .

كذلك نجد فى تلك الفترة ظهور أشخاص لهم نشاط موسوعى ومحاولات فى جميع الأنواع الأدبية فنجد — مثلا — المازنى والعقاد وطه حسين يكتبون الشعر والرواية والقصة القصيرة والدراسات الأدبية والمقالات النقدية وعندما قام هؤلاء الرواد بمهمتهم الجليلة أعقبهم جيل آخر كانت مهمته إرساء محاولات هؤلاء الرواد وكان أفراده أكثر تخصصاً فمنهم من انصرف الى النقد ومنهم من انصرف الى الرواية أو القصة القصيرة أو المسرح ومنهم من جمع بين فنين أو أكثر فمثلا توفيق الحكيم قد جمع بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية إلا أن فنه الأول هو المسرح بلا جدال ويحيى حقى — أيضاً — كتب فى الدراسات الأدبية والرواية إلا أنه له فن ويعد هو فنه الأول ألا وهو القصة القصيرة .

وفى أثر هؤلاء ظهر نجيب محفوظ الذى أرسى بدوره دعائم الرواية المصرية وعبد طريقها تماماً لمن يتلوه من الأجيال وإن كان نجيب محفوظ هو عملاق الرواية المصرية وفارس الحلبة فى الرواية العربية إلا أنه كان فى شبابه يتلمس الدرب الأدبى بمحاولات مختلفة فقد عالج الشعر فى مرحلة مبكرة من حياته وذلك أثر تجربة عاطفية مر بها . ثم اتجه بحكم دراسته نحو الدراسات الفلسفية حتى أنه هم بتحضير رسالة ماجستير عن فلسفة الجمال ثم ما لبث أن مر بأزمة إبداعية خلقته من جديد — إن صح

بمـا فعـله أجدادهـم من قبـل مع احتـلال مماثل • وهـكذا نجـد نجيب محفوظ منـذ البداية لا يكتب لمجـرد الكتابة ولا يكتب من قبيـل الفـن للفـن فـإن استلهامه لروايات التـاريخ لدليـل على أن نجيب محفـوظ يتخـذ موقفـاً ممـا يحـدث فى وطنـه •

وهكذا يجب أن يكـون الأديب تعيش أحاسيس الناس والوطن فى نفسـه ويعيش هـو فى نفس ••• النـاس والوطن •

وبتتبـع رحـلة نجيب محفـظ الأدبيـة نجـده فى عـام ١٩٤٥ ينشـر روايتـه « القاهـرة الجـديدة » ومن العنوان يتضح أن نجيب محفـوظ يضـع ذلك العنـوان فى مقـابل عنـوان آخـر كـان يتخذه نجيب محفـوظ ويكتب عنـه وهـو « مصر القديمة » •

ولقـد تنـاول فى « القاهـرة الجـديدة » حيـاة الجامعة وسـكان الأحيـاء الجـديدة فى القاهـرة •

وبذلك انتهت مرحـلة نجيب محفـوظ الأدبيـة فى رحـاب التـاريخ لتبـدأ فى أحيـاء القاهـرة حديثها ثـم قديمها • بمعنى أنـه انتهت رحلتـه مع الزمن المـاضى لتبـدأ فى المكان الحـاضر وكـان لهـذه المرحـلة مميزات هـى :

١ ــ الـروح النقـدية •

٢ ــ اتقـان الصـنعة الروائيـة شـيئاً فشـيئاً •

وتتضـح التقنيـة الصناعية أو الصـناعة التقنيـة فى (بداية

ونهـاية) بشـكل واضـح ثـم تبـلغ الذروة فى ثلاثيـة « بين القصـرين » ... آخـر أعمـال هـذه المرحـلة ، وهى الروايـة التى زاوج فيهـا بين الروايـة التاريخية والاجتماعية ، إذ تنـاول فيهـا ثلاثـة أجيـال من حيـاة إحـدى الأسـر المصرية ، تبـدأ قبيـل الحـرب العالميـة الأولى وتنتهى بانتهـاء الحـرب العالمية الثانيـة وكأننـا نعيش فى رجعـة الى المرحـلة الأولى مع عـدم التخـلى عن الاتجـاه الذى سـاد فى المرحـلة الثانية .

ويتميـز الفـن الروائى عند نجيب محفـوظ فى هـذه المرحلة بالنقـاط الآتيـة :

(أ) من ناحيـة القـالب القصصى نجـد أنـه يسـير على نهـج القـالب القصصى للأدب الأوربى فى القـرن التاسع عشـر وأوائـل القـرن العشرين وهـو القـالب الذى اعتنق بعض مؤلفيه المدرسـة الواقعيـة ـ واعتنـق بعضهم الآخـر المدرسة الطبيعية وفى ذلك نجـد أنفسنا أمام حشـد من الشخيات قـد يبـرز أحدها باعتبـاره بطـلا للقصـة ولكنـه لا ينفـرد بهـذه البطـولة بـل توجـد الى جانبـه مجموعة من الشخصيات تؤثـر حياتهم فى البطل ويتأثرون بـه ويفـرد لهـم المؤلف فصـولا بأكملهـا ، وهـذا الضـرب من القصص نجـده مثـلا عند « ديكنـز ، وتولستوى ، وزولا » .

حيث يعـرض المـؤلف لحـادث ثـم يتركـه فى الفصـل الذى يليـه ليعـرض حـادثاً اخـر فـإذا كـان الفصل الثـالث

أو الرابع عاد الى موضوع حديثه فى الفصل الأول وكأن أمامه مجموعة من الخيوط يحيكها فى نسيج متماسك .

(ب) كان الأثر الذى يتركه نجيب محفوظ فى نفوس قرائه بعد قراءة رواياته يشوبه التشاؤم بسبب هزيمة أبطاله وضعف شخصياته وقد يحدث لهم — بعد فوات الأوان — تغير فجائى يكون نتيجته أنهم يدفعون ثمنه فادحاً قد يكون حياتهم نفسها ، تجد هذا حدث لكاهل بطل رواية السراب ولعباس الحلو أحد أبطال زقاق المدق ولحسنين أحد أفراد أسرة بداية ونهاية ، ويعلل نجيب محفوظ على هذا بقوله :

« لقد كتبت كل هذه القصص فى ظل عهود . التفاؤل يعتبر فيها نوعاً من التخدير والرضا بالواقع ونهايات قصصى الحزينة ليس كل ما فيها هو الحزن .. إن فيها حثاً على الثورة على أوضاع المجتمع وتغيير نظمه .. قد ينتحر البطل ولكن لماذا انتحر » (٤) .

وإننا نجد فى هذه المرحلة (٥) رواية « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » وفى هاتين الروايتين يرى — الدكتور

---

(٤) حديث لنجيب محفوظ بمجلة القاهرة ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، واعيد فى مجلة الاذاعة والتليفزيون بعد فوزه بجائزة نوبل سنة ١٩٨٨ م .

(٥) المرحلة التى بدأت « بالقاهرة الجديدة » وانتهت « بالثلاثية » .

نبيـــل راغب (٦) — « إن الخلفية الاجتماعية سيطرت على الصراع الدرامى فيهمـــا فاقتربنا من الروايـــة التسجيلية ، أمـــا عن بقيـــة روايات هـــذه المرحـــلة « خـــان الخليلى » ، « بدايـــة ونهـــاية » و « الثلاثية » فقـــد برزت فيهـــا ســـيادة نجيب محفـــوظ على الموقف الدرامى » .

وإننـــا بشىء من التـــأمل المبصـــر فى هـــذه المقـــلة لنجيـــب محفـــوظ عن « زقـــاق المـــدق » نجـــده كاتبـــاً فـــريدا ومتميـــزا ويعـــرف كيف يفـــكر النقـــاد ويـــرد عليهـــم قبـــل أن يكتبوا أى شىء وذلك فى مقولته هـــذه التى نشـــرها فى مجـــلة روز اليوسف ، أكتـــوبر ســـنة ١٩٥٧ والقاهـــرة ص ١٤ تحت عنـــوان — الكاتب والطبقـــة التى يعبـــر عنهـــا — « إن هـــذه الرواية قـــد كتبت فى فتـــرة كـــان يغـــلب على حياتنـــا فيهـــا الشـــقاء وما يشـــبه اليأس فاسترعى الصـــدق إخـــراج هـــذه الصـــورة • ولكن من ناحيـــة أخـــرى اعتقـــد أن كـــل شخص فى الزقـــاق كـــان يحـــاول تحسين حياته على قـــدر طاقتـــه وفى حـــدود ظروفه البالغـــة الســـوء • وتخفيف النظـــر بلـــون وردى خيالى كـــان يعتبر نوعـــاً من التخدير والخيـــانة وتثبيط الهمـــم • لأن المقصـــود من الرواية هـــو تحريك الضـــمائر وتغيـــير الواقـــع » •

كمـــا أن الأســـتاذ نجيب محفـــوظ قـــد فســـر ما يســـود بعض شخصياته من إنحـــلال خلقى بقـــوله (٧) :

---

(٦) من كتـــاب قضـــية الشـــكل الفنى عند نجيب محفـــوظ ، ص١٤ د. نبيـــل راغب ســـنة ١٩٨٨ ، الهيئة المصرية العـــامة للكتـــاب .

(٧) « رحـــلة فى رأس نجيب محفـــوظ » . إبراهيـــم الوردانى ســـنة ١٩٦٠ ص ٢٠ « بدون ط » .

« كنت أستغل الشذوذ الجنسى فى ذلك الحين كعلامة من علامات الفساد السياسى فى العهد البائد ...

ففى السياسة مثلا كانت بعض مواد النجاح أو أهمها للشباب الناشىء هى الغواية ، والانتهازية ، والرشوة ، ثم انتهازية الجمال سواء أكان فى الذكر أو الأنثى ، لهذا كان الشذوذ يصاحب الانحلال خطوة خطوة وكانت مهمتى هى الإحاطة الشاملة بهذا الانحلال وتسجيله .

ثالثاً (٨) : —

كان الاهتمام بالتفاصيل هو العنصر الغالب على أسلوب تلك الروايات وقد بلغ الاهتمام بهذه التفاصيل ذروته فى ثلاثية بين القصرين ، حيث نجد الاهتمام بذكر تفاصيل الأمكنة وهيئة الأشخاص ودوافعهم النفسية والحياة الاجتماعية والسياسية والفنية حتى بلغ الوصف التسجيلى فى بعض الصفحات درجة الاهلال وهذه هى طريقة المدرسة الواقعية التى تلجأ إليها حتى يتم لها ما يصرف فى الأعمال الأدبية بعملية « الإيهام بالواقع » .

---

(٨) الروائيون الثلاثة — ص ١٤ — يوسف الشارونى سنة ١٩٨٠ ط. الهيئة المصرية العامة .

ويقـول نجيب محفـوظ(٩) « وأكثـر التفاصيل فى القصص صـناعة ومـكر لإيهـام القـارىء بأن ما يقـرؤه حقيقة لا خيال إذ أنـه يثبت الموقف أو الشخص كحقيقـة مثـل التفاصيل المتصلة بـه ، وكلمـا دقت كـان القـارىء أسـرع الى تصديقها .

رابعـاً : ـ

إن الطبقـة الوسطى كانت هى البيئـة الاجتماعية التى تناولها نجيب محفـوظ فى رواياته سـواء التى تعيش فى أحيـاء القاهـرة الجـديدة أو فى أحيائهـا القديمـة . كمـا كـانت القاهـرة هى البيئـة المكانية التى يتحـرك فيهـا أبطـاله .

وقـد عبـر نجيب محفوظ عن هـذه الطبقـة تعبيرا دقيقـاً .

ولكننـا نجـدد بعـد أن كتب الثلاثية يغـير فى أسلوبه تغييرا كبـيرا لأنـه رأى لـو أنـه كتب باسلوبه السـابق سيكرر نفسـه لا محالة فالأسلوب الأدبى كالمنجـم على الفنـان المبـدع أن يبحث عن غـيره حين يحس أنـه اسـتنفد ما فيـه . والا فلن يستخرج منـه إلا التـراب وبذلك أنقـذ نجيب محفـوظ نفسـه من خطـر التكرار وإن هـذه المرحـلة الثالثـة (مرحـلة الواقعية الجديدة) جـاءت نتيجـة أزمـة مـر بهـا تشـبه تلك التى سـبق أن مـر بهـا عندما تأرجـح بين الدراسات الفلسفية والكتابات الأدبيـة .

---

(٩) مجـلة الآداب ، ط. بيروت ـ يونيـو سـنة ١٩٦٠ ـ ص.٢٠ « من كتـاب الروائيون الثلاثـة » ص ١٤ .

ولكن فى هـذه المـدة تضافرت عـوامل خاصـة بتطوره الفنى مع عـوامل اجتماعية وسياسية كـان مجتمعنا المصـرى يمـر بهـا ولهـذا لـم تكن الأزمـة أزمـة نجيب محفـوظ وحـده بـل أزمة كـل فنـان وأديب كـان فنـه وأدبـه يتجـه نحـو نقـد المجتمع المنحـل من حـوله حتى ٢٣ يوليـو سـنة ١٩٥٢ •

وفى هـذا يقول نجيب محفـوظ(١٠) : « الواقع أننى انتهيت من كتـابة الثلاثية فى أبريل عـام ١٩٥٢ أى قبـل الثـورة بأقـل من ثلاثة أشـهر وكانت سلسلة كتبى محـاولات لتحليـل المجتمـع القـديم ونقـده فلمـا انهـار ذلك المجتمـع وجـدت نفسى فى موقف من يبحـث عن قيـم جـديدة يستلهمها فى عمـله فالفـن بعـد الثـورة — أى ثـورة — يجب أن يتغـير عمـا كـان قبلهـا ولـو أننى واصلت نقـد المجتمـع القـديم كمـا يفعـل بعـض الزمـلاء لكررت نفسى ولكررتها أيضـا بلا حمـاس » •

وقـد شـعر نجيب محفـوظ بفـراغ لعـله مؤقت ولعـله نـوع من الاستجمام ولعـله النهـاية • ولكنهـا لـم تكن النهاية فقـد بـدأ يتلمس الطريقة الجـديدة قـائلا(١١) « أنـا الآن فى حـالة تدبـر واستيعاب •• لا أعـرف متى أعـود الى الكتـابة ولكن عندما أستأنف الكتابة لـن أعـود الى الواقعية مـرة أخرى • لقـد مللت هـذا اللون من الكتـابة ويكفينى أطنـان الواقعية التى

---

(١٠) المسـاء الاسبوعى ، ٢١ اكتوبر ١٩٦٢ م من كتـاب الروائيون الثلاثـة ص ١٦ . يوسـف الشـارونى . ط. الهيئـة المصرية العـامة للكتـاب .

(١١) الحـديث المسـابق بمجـلة الاذاعـة .

شحنتها فى رواياتى ، اننى أشعر بتطور فى أعماقى وسوف ينتهى هذا التطور حتماً بطريقة جديدة فى الكتابة أستعملها عندما أمسك قلمى الكوبيا وأوراق العرائض مرة أخرى .

وهكذا نجد نجيب محفوظ يبدأ فى مرحلة جديدة يمكن تسميتها بالواقعية الجديدة عند نجيب محفوظ وهى واقعية لا تحتاج اطلاقاً لميزات الواقعية التقليدية .

وقد عرف نجيب محفوظ هذه المرحلة بقوله (١٢) : « الواقعية التقليدية أساسها الحياة . فأنت تصورها وتبين مجراها وتستخرج منها اتجاهاتها وما قد تتضمنه من رسالات . وتبدأ القصة وتنتهى وهى تعتمد على الحياة والأحياء وملابساتهم بكل تفاصيلها . أما فى الواقعية الحديثة فالباعث الى الكتابة أفكار وانفعالات معينة تتجه الى الواقع لتجعله وسيلة التعبير عنها . فأنا أعبر عن المعانى الفكرية بمظهر واقعى تماماً » .

ومعنى هذا الكلام أن واقعية نجيب محفوظ السابقة كانت الحياة فيها تسبق المعنى الفكرى أما واقعيته الجديدة فالمعنى الفكرى يسبق الأحداث التى تعبر عنه .

وقد نجح نجيب محفوظ فى واقعيته الجديدة وما كان لينجح فيها لولا نجاحه فى الواقعية السابقة وإن كان

---

(١٢) حديث لصحيفة الجمهورية ، القاهرة مايو سنة ١٩٦٢ ص ١٩ ، الروائيون الثلاثة ص ١٧ .

الأسلوب الواقعى فى هذه الفترة يلاقى هجوما من قبل (فرجينيا وولف) التى كانت تدعو الى الأسلوب النفسى لأن أوربا كانت مكتظة بالواقعية الى حد الاختناق ، ويقول نجيب محفوظ فى ذلك :

أحسست أننى لو كنت كتبت بالأسلوب الحديث سأصبح مجرد مقلد لما يحدث فى أوربا .

ثم يستطرد قائلا (١٣) : « وأحب أن أشير الى أن أسلوبى فى رواية أولاد حارتنا أسلوب حديث لأن التجربة نفسها حديثة » .

وتهل علينا بعد ذلك المرحلة التشكيلية الدرامية ويحس القارىء فى روايات نجيب محفوظ فى شكل الرواية بخلق علاقات درامية وصلات حية من تشكيلات متفاعلة داخل البناء بحيث يحس القارىء بالصراع الدرامى وآثاره من تفاعل حى وتطهير نفس من أول صفحة فى العمل الى آخر صفحة منه .

ولقد بدأت هذه المرحلة برواية اللص والكلاب واستمرت فى السمان والخريف ، والطريق ، والشحاذ ثم ثرثرة فوق النيل .

---

(١٣) أحمد عباس صالح . صحيفة الجمهورية ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٦٠ من كتاب الروائيون الثلاثة ص ١٩ .

وهكذا نجد نجيب محفوظ فناناً متطوراً متجدداً لا يعرف الوقوف ولعل من أكبر أسباب نجاحه الى جانب الهبة التى وهبها • انه عرف طريقه ومضى فيه لا يشتت بصره وهج الشهرة ولا بريق المادة فهذه الرهبنة الفنية التى عاشها هى التى تمده بأسلوب النجاح فى العمل الذى انقطع له • وهى رهبنة لا تعزله عن الحياة بحيث تجرده من معاناته ولكنها أيضا تبعده عن أن ينغمر فيها بحيث تشغله عن التأمل والتعبير عنها •

وهكذا نجد الدراسات التى دارت حول أدب نجيب محفوظ تمثل اتجاهين : —

الاتجاه الأول •• يقسم أدب نجيب محفوظ ظالى ثلاث مراحل هى :

(أ) المرحلة التاريخية الفرعونية •

(ب) المرحلة الاجتماعية المعاصرة « الواقعية » •

(ج) المرحلة الواقعية الجديدة •

وهذا الجانب يمثله فيما نذكر الأستاذ إبراهيم الوردانى والأستاذ يوسف الشارونى •

أما الاتجاه الثانى •• فيقسم أدب نجيب محفوظ الى أربع مراحل هى :

(أ) المرحلة التاريخية الرومانية .

(ب) المرحلة الاجتماعية الواقعية .

(جـ) المرحلة النفسية المبثورة (السراب) .

(د) المرحلة التشكيلية الدرامية .

وإننا نميل الى هذا الاتجاه الثانى لأنه أقرب الى روح أدب نجيب محفوظ ولأنه حاول دراسة خصائص كل عمل فنى للأستاذ نجيب محفوظ على حده وهذا الجانب يمثله الدكتور نبيل راغب والأستاذ جمال الغيطانى .

ولكن ليس معنى هذا أن نجيب محفوظ كان مؤرخاً ثم باحثاً اجتماعيا ثم عالماً نفسيا ثم فناناً تشكيليا وإنما هذا التقسيم على سبيل تسهيل الدراسة والبحث . وقد كان ذلك من قبل السمات البارزة لكل رواية . وكل مجموعة من رواياته « ولا يعنى التقسيم أن المرحلة الاجتماعية (١٤) الواقعية مثلا كانت تخلو من التشكيل الدرامى والا لما كانت فناً أصلا أو أن المرحلة التاريخية الرومانسية كانت تخلو من التشكيل الدرامى وإلا لما كانت فناً أصلا أو أن المرحلة التاريخية الرومانسية كانت تخلو من التحليل النفسى للشخصيات أو أن المرحلة التشكيلية الدرامية كانت تخلو من بلورة ملامح المجتمع المعاصر . أو إيراد الرمز الذى يعد من أهم أدوات

---

(١٤) .....

التشكيل الدرامى • فعند دراسة أدب نجيب محفوظ الروائى سنجد أن هذه المراحل متداخلة مع بعضها البعض فى نسيج درامى معقد ومتشابك وعلى هذا يكون الدافع وراء هذا التقسيم :

أولا : أنه يمنهج عملية التحليل النقدى بتحديد الملامح العامة للقارىء • وعليه أن يحدد ما يشاء من الملامح الأخرى التى يراها بارزة فى الروايات مع اختلاف مراحلها •

ثانيا : أنه يساعد القارىء على وضع يده على التطورات التى طرأت بمرور الزمن وجعلت الكاتب يركز على استعمال أدوات فنية بعينها وبصرف النظر عن أدوات أخرى • ولكن صرف النظر هذا لا يعنى أن هذه الأدوات قد بليت بالفعل ولم تعد صالحة للاستعمال • بل يعنى أنها لم تعد صالحة فقط للمضامين الراهنة بحيث يجب أن تخلى الطريق لأدات أخرى أكثر صلاحية (١٥) •

---

(١٥) قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ . د. نبيل راغب ص ١٦ ، ١٧ ـ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨ م ، وهذه طبعة جديدة وتذكارية بمناسبة فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل .

الفصـــل الثـــانى

دراســة لروايــة الســحاذ

والآن بعــد أن قدمنا ملامــح لعــالم نجيب محفــوظ الروائى ن خــلال رحلته الابداعية الطــويلة والتى بدأت من عــام ١٩٣٦ نتجــه فى دراســة لروايــة الشــحاذ تلك الروايــة اتى دار حولها كثــير من الكتــابات والمقــالات والاختلافات بين النقــاد •

هــذه الروايــة التى تمثــل بحــق أزمــة إبداعيــة جــديدة حتى ان القــارىء ليشــفق على كاتبهــا الكبير أن يكــون قــد عاش بعض هــذه الآلام ولكن حبنــا لنجيب محفــوظ ومعرفتنــا لابداعه يجعلنــا نتصــور أن كاتبنــا الكبــير ربمــا يكــون قــد قاســم صــديقاً لــه فى مشــاعره تلك ثــم استطاع ببصيرته أن يترجــم خلجــاته الى ما أقــرأنا من فــن صــادق •

ولكن الذى نستبعده تمــاماً هــو أن تكــون هــذه القصــة بلحمهــا وعظمهــا محــض الخيــال •

صحيح أن نجيب محفــوظ صــرح أكثــر من مــرة أن تغــير الأوضــاع فى مصــر ســنة ١٩٥٢ جعــله يعيــد النظــر فيمــا يكتب مضموناً وشــكلا • وفى هــذه النقطــة تلتقى أزمــة المؤلف مــع أزمــة عمــر الحمزاوى بطــل الروايــة • وإن كــان نجيب

محفـوظ جـاوز أزمته بالتعبـير عنهـا واستئناف الحيـاة والعمل على عـكس عمـر تمـاماً الذى أضـحى خـاملا ضـجرا .

ونبـدأ فى تحليلنـا لهـذه الروايـة بتلخيـص « الحدوتة » إذ أن العمـل الأدبى من وجهـة نظـر (تودوروف) لـه واجهتان فهـو « حـدوتة » بمعنى أنـه يقص ويتضمن أحداثا وشخصيات . ولكنـه فى نفس الوقت سـياق فـلم تعـد الأحـداث تهـم ولكن الطريقـة التى يـورد بهـا القـاص تلك الأحـداث (١) . ومن ثم فـإن « الحـدوتة » نظـام أو نسـق مكون من أحداث وشخصيات أمـا « السـياق » فوسيلة اتصـال القـاص بالقارىء ودمجـه إيـاه فى عالمـه . وتحليلنـا يبـدأ بتلخيص « الحـدوتة » ولكن قـد نتسـاءل : وفيـم هـذا التلخيص ؟ ويجيب شكلوفسكى ذلك بقـوله : (إن الملخص ، مثـل الحـدوتة ـ ليس بعنصـر فنى ولكنه خـامة سـابقة عـلى الصـياغة الأدبيـة (٢) Pre - Fitteraire وهـذا التلخيص يسـمح لنـا بتجـريد المضمون واخضاع التتابع الزمنى تغـوص فى بنيـة « جمـلة قـالب » لا زمنيـة Matrice ومن هنـا تنشـأ القـدرة على اسـتنباط خـطط شمولية فى الامكان تطبيقهـا على أنـواع مختلفـة من « الحـواديت » ممـا يدفـع بنظـرية الإبـداع الى « الوسـيلة الاستنتاجية » أو « النمـوذج السـردى » الذى أشـار إليـه بارت والذى يصـور نمـوذجاً

---

(١) .....

(٢) .....

افتراضياً للوصف • بوسعة النقاط البنية فى عدة مكونات ويقودنا هذا الى ملاحظة عامة — هى أن الانسان منذ قديم الزمان — يستمتع بالحواديت أو الحكايات التى تعبر عن مغامرات وجودية أو اجتماعية تنمو حسب جدلية تكاد تكون دائماً متشابهة •

صراع — معركة — خلاص ••

ولكن ما يميز الحواديت هو السياق وذلك ما أشار إليه جايتان بيكون حين قال : « إن الروائى يعرف الآن أنه يتعامل مع الكلمات وليس مع الأشياء •• ان الرواية تأتى بتصور للعالم ، والانسان لا يستطيع أن يتفهم العالم إلا إلا إذا ابتعد عنه وشكله حسب قوانين أخرى واذا كان هدف الروائى هو أن يبلور رؤية تخص العالم الذى يحيا فيه فإنه لا يصل الى هذه الرؤية عن طريق الانصات الى الأصوات الداخلية أو تأمل الأشياء الواقعية • بل عن طريق خلق لغة •

إن ذلك لا يعنى ابتعاد الرواية عن المستويات الواقعية (المستويات الفردية أو الاجتماعية أو الجغرافية أو التاريخية) ولكن المهم هو « ما يخترعه الكتاب » وهذا ما أكده تودوروف فى نظرية « الإبداع البنائية » بقوله أن المجال الذى أصبحت الأسئلة تطرح فيه مجال خصائص هذا السياق الخاص المسمى بالسياق الأدبى • ومن ناحية أخرى يرى

ياكبسون أن « هدف نظرية الإبداع ليس هو العمل الأدبى ولا حتى الأدب بل الصيغة الأدبية Littérarité بمعنى ما يجعلنا نسمى عملا ما عملا أدبياً .

ولكى نبين مدى استخدامنا للوسائل التى بلورتها نظرية الإبداع فقد اعتمدنا على ما جاء على لسان حال ريكاردو حين قال : « أن الوعى بالعمل الروائى سيتيح وجوده لنا كشفه كأداة كشف ويرغمه على الافصاح عن أسباب وجوده . وينمى فيه العناصر التى تبين كيف أنه مرتبط بالواقع وكاشف له فى نفس الوقت . من أجل هذا فإننا سنتعامل مع النص الروائى بوصفه بناء ينشأ تبريره من داخله . وبوصفه بناء يحتوى على عناصر مرتبطة بالواقع علينا دراستها .

الملخص : —

إن الخطوة الأولى التى تفرض نفسها بعد قراءة النص قراءة متمهلة للغاية ، هى تقديم مفهوم هيكلى متلاحم لاحدى البنيات التى ذكرناها من قبل .

صراع — معركة — خلاص ..

ويتزوج عمر من زينب التى اعتنقت الإسلام من أجله بعد محاولة نضال سياسى فاشلة ولكن بعد عشرين عاماً من الزواج والنجاح الاجتماعى ، ينتابه شعور غريب ينغص

عليه حياته ، ويطغى الملل على كل شيء من حوله ويتحول الى رجل سكير عربيد .

يهجر أسرته ويروح ينشد جوابا على التساؤل الهائل الذى يقض مضجعه . ولكن دون جدوى . وتتشابك فى مخيلته صور من ماضيه عندما كان يؤمن بالاشتراكية ويقرض الشعر ، ويناضل مع عثمان ، ثم عندما تخلى عن السياسة وعن الشعر بعد القبض على عثمان . وتحاول أسرته ارجاعه الى المنزل بمناسبة المولود الجديد ، ولكنه يظل معذبا ، هائماً فى دنياه الخاصة . ثم هو يعزف عن الملذات ويبدأ فى رحلة السعى الروحانى . ولكنه لا يد الراحة التى ينشدها ويختلط الواقع لديه بالخيال ويهجر المنزل مرة ثانية . وعندما حاول عثمان — الذى خرج من السجن وتزوج ابنته التى تجيد قرض الشعر — ارجاعه الى المنزل ، يصاب عمر بطلق نارى ، وذلك فى أثناء مطاردة عثمان ، ويظل مشتتاً على حافة الواقع وهو فى الحقيقة لم يعد ينتمى الى شيء .

ويمكننا أن نربط هذا الملخص بهذه البنية (٣) :

أسرة + مجتمع ≠ عمر

أورده الى الجدلية الخلاصية التالية :

صراع — معركة — خلاص ..

---

(٣) د. هدى وصفى دراسة نقب نبوية مجلة فصول .

ويتـأكد هـذا المخـطط Scheme فى نهـاية النص عنـدما نسـمع عمـر يقـول :

ـ زولـوا لأرى النجـوم !

ـ إنى بخـير ما انتصـرت عليـكم •

ـ لا حاجـة بى الى إنسـان •

وتخـلق الأفعـال الاكتمالية Perfectifs مثـل يزول ، ينتصر نوعـاً من الانفعـال المأسـاوى الذى يلخص المعـركة التى انتهت بالخـلاص وفى ضـوء هـذا التنـويع النفسى سيكون التـأويل •

وهـكذا نجـد أن نجيب محفـوظ منـذ أن يخـط قلمـه أول كلمـة مع صفحات الشـحاذ يستخدم الرمـوز الدالـة على العالم الخـارجى من جمـادات وأحيـاء ، ويبـرز انعكاسها وتأثيرها على نفسـية البطـل ووجـدانه •

فيقـول على أول صـفحة من صـفحات الروايـة :

« سـحائب ناصعة البيـاض تسـبح فى محيـط أزرق • تظلل خضـرة تغـطى سـطح الأرض فى اسـتواء وامتـداد ، وأبقـار ترعى تعكس أعينهـا طمأنينة وأسـنمة ولا عـلامة تـدل على وطن من الأوطـان وفى أسـفل طفـل يمتطى جـواداً خشـبياً ويتطلع الى الأفـق عارضـاً جـانب وجهـه الأيسـر وفى عينيـه شـبه بسـمة غامضـة • لمـن اللوحـة الكبـيرة يا تـرى ؟•• ولـم يكن

بحجـرة الانتظـار أحـد سـواه • وعمـا قـريب يأزف ميعـاد الطبيب الذى ارتبـط بـه منـذ عشـرة أيـام وفـوق المنضـدة فى وسـط الحجرة جـرائد ومجلات مبعثرة وتدلت من الحافة صورة المـرأة المتهمـة بسرقة الأطفـال • رجـع يتسـلى بلوحة المرعى ، الطفـل والأبقـار ، والأفـق رغـم أنهـا صـورة زيتيـة رخيصة القيمـة ولا وزن إلا لاطارها المذهب المزخـرف بتهاويل بـارزة ، وأحـب الطفـل اللاعب المستطلع والأبقـار ولكن ازدادت شـكواه من ثقـل جفـونه وتكاسـل دقـات قلبـه وها هـو الطفـل ينظر الى الأفـق • وها هـو الأفـق ينطبق على الأرض من أى موقف ترصـده فيـا لـه من سـجن لا نهـائى» (٤) •

وكأننا بنجيب محفـوظ فى افتتاحية « الشـحاذ » يعلن صراحة عن التكنيـك الذى سيتبعه فى تكـوين الشـكل الفنى لروايته أى التكنيـك التشكيلى الذى ينهجـه الرسـام عنـد تكـوين لوحتـه وحشـدها بالرمـوز والإيحـاءات واللمسـات المختلفة التى تذوب فى بعضها البعض لـكونه الشـكل العـام ذا الطـابع الاستقلالى الخـاص ، وذلك اعتماداً على الموازنة الفنيـة بين الخطوط والألوان والمساحات والكتـل حتى لا يختـل التوافق الهارمونى بين جزئيـات اللوحـة وتفقـد بالتـالى شخصيتها الفنيـة المميـزة لهـا • نفس التكنيـك يتبعـه نجيب محفـوظ فى تشكيل مضمونه عندما يستبدل بخطـوط للوحـة خطوطـاً دراميـة عريضـة تتحـكم فى جزئيات المضـمون من أول صـفات الروايـة حتى نهايتهـا ثـم يستبدل

---

(٤) الروايـة ص ٥ .

ألوان اللوحة بالصور الموحية والأجواء المختلفة المكونة للشكل العام • ثم يحرص بعد ذلك على الموازنة بين الخطوط والأجواء والفصول ولذلك يبدو الشكل وكأنه تكوين رائع يقف بالرواية العربية على مشارف حقبة جديدة مزدهرة لو وجدت امتدادها لتحقق الأمل القديم فى خلق الرواية العربية الجديدة •

نعود الى اللوحة التى قدمها نجيب محفوظ فى افتتاحيته لنحلل العناصر المكونة لها ثم الرموز وما ترمى إليه ••

فالسحائب الناصعة البياض التى تسبح فى محيط أزرق والخضرة التى تغطى سطح الأرض فى استواء وامتداد ترمز الى النظرة التقليدية الى هذه العناصر والتى تعدها رموزاً للصفاء والنقاء الطبيعى رغم أنها فى نظر البطل لا تتعدى الاحساس بالاستواء والامتداد الذى سيظل يلاحقه طوال أحداث الرواية محاولا الهرب منه لتحقيق النشوة التى ينشدها بعيدا عن استواء الحياة الروتينى • أما عن الأبقار التى ترعى وتعكس أعينها طمأنينة راسخة فهى تعكس التناقض الحاد مع نفسية البطل التى ينهشها القلق والضجر والملل •

وحيث إنه لا توجد علاقة تدل على وطن من الأوطان فهذا يدل دلالة واضحة على أن المؤلف قد ربط نفسه بالنفس البشرية وخرج من الدائرة المحلية الى النطاق الكونى •

أما عن الطفل الذى يمتطى جواداً خشبياً ويتطلع الى

الأفق عارضاً جانب وجهه الأيسر وفى عينيه شبه بسمة غامضة فهذا يرمز الى الانسان الذى يظن أنه كبر وضج ويستطيع أن يحقق آماله وطموحه بالوسائل التى فى يديه ولكنه لا يدرك أنه لم يتعد بعد مرحلة الطفل الذى يركب حصان خشبيا معتقدا أنه يستطيع أن يصل الى أهدافه وهو على ظهر مثل هذا الحصان .. أما عن البسمة الغامضة فهى البسمة التى تدل على أن الهدف غير واضح مع ادعاء العزيمة للوصول إليه .. ثم يتساءل الكاتب لمن اللوحة الكبيرة يا ترى ؟ واضح جداً أن اللوحة الكبيرة من رسم القدر نفسه .

أما عن بطله الوحيد بحجرة الانتظار فهو الانسان الذى خلق وحيداً منتظرا مصيره المحتوم .. أما عن الجرائد والمجلات المبعثرة فوق المنضدة فى وسط الحجرة فهى تدل على ذهن البطل المشوش الذى فقد اليقين فى كل شىء ولم يصبح لديه شىء ثابت أو مؤكد .. أما عن المرأة المتهمة بسرقة الأطفال فان دلت على شىء فهى تدل على أن أقدس المقومات الممثلة فى الأطفال قد أصبحت مستباحة للصوص .. واللص فى هذه الحالة هو المرأة التى كانت رمزاً للحنان والعطف والأمومة فى الأدب التقليدى . وأحب البطل الطفل اللاعب المتطلع والأبقار المطمئنة .. ولكن هذه العاطفة لم تحد من ثقل جفونه وتكاسل دقات قلبه .. ومع ذلك فالطفل مازال ينظر الى الأفق تماماً مثل ما سيفعله

البطل لتحقيق سعادته المنشودة ولكن هاهو الأفق ينطبق على الأرض من أى موقف ترصده فيأله من سجن لا نهائى •

هذه هى رموز اللوحة التى يقدمها نجيب محفوظ والتى يصل فيها الى قمته فى العبارة المكثفة والصورة المشحونة بالمعانى والظلال والمعنى المركز حيث يرمى بثقله كله كفنان استطاع أن يخضع مقومات اللغة وخصائصها لخدمة العرض الدرامى وخاصة فى الافتتاحية التى يشترط فيها أن تشد القارىء الى العمل الفنى بما تحمله من ثقل درامى دون محاولات مصطنعة من الكاتب لاثارة عنصر عند القارىء • ومن هنا خلت الافتتاحية من الايقاعات الحادة أو المرتفعة التى ترهق امكانيات الشكل الفنى فى بعض الأحيان • ولذلك كانت النغمة السائدة هى الهدوء وخفوت النبرة التى تتسلل الى وجدان القارىء فى يسر وسلاسة لأن الكاتب يرسم اللوحة أمام القارىء فيكون عليه أن يستنبط ما يحلو له من رموز وإيحاءات توافق حالته النفسية فى مدخله الى الرواية • وبذلك يكون الاتحاد كاملا بين أحاسيس القارىء وبين ما يثيره العمل الفنى •

بعد هذه الافتتاحية الرائعة لا يترك نجيب محفوظ القارىء لحظة حتى لا تحدث فجوات فى الشكل العام بل يربطه فورا بالخط العريض الممثل فى مرض البطل وذلك من خلال الحوار الذى يدور بينه وبين الطبيب ولنأخذ مقتطفا من الحوار بين البطل والطبيب لنبين كيف أن الشخصية تتكشف لنا من

وبهذا الأسلوب تتكشف لنا مأساة البطل من أول وهلة دون أن يقدم الكاتب تقريرا عن هذا بل يترك الحوار يشكل مجراه الطبيعى ولذلك لا يحس القارىء بافتعال فى ثنايا الحوار أو محاولة تدخل من الكاتب لتوجيهه وجهة معينة ولذلك نما الشكل العام وتفرع بما يتفق وطبيعته ولا يكتفى الكاتب بإبراز المأساة من خلال الحوار ولكنه يتوغل فى وجدان البطل لكى يبرز الجانب الآخر المناقض لنفسية البطل بل يجتاحه من خمود وركود وملل وسأم فيقدم للقارىء من خلال تيار الشعور عند عمر الحمزاوى صورة عثمان خليل المسجون السياسى فيقول :

وذكر الآخر فى السجن • حتى حساسية الضمير يدركها الضجر • يوم احترقت بلهيب الخطر • لكنه لم يعترف • رغم الأهوال لم يعترف • وذاب فى الظلمات كأن لم يكن • وأنت تمرض من الترف • وتنهض الزوجة رمزا للطبخ والبنك • غسل نفسك ألا يضجر النيل تحتنا •

وأصبحت كل جزئيات الشكل تعبر عن هذا الخمود والركود والملل حتى الأشجار التى لم تند عنها حركة واحدة • وانتشرت حول المصابيح غلالة ترابية • وبدا النيل من ثغرات أعالى الشجر ساكنا هامدا شاحبا معدوم المعنى والروح • ويدور البطل فى دائرة الذكريات المعادية دورات محكمة الاغلاق الطفل الباسم الذى يتوهم أنه يمتطى جواد حقيقياً ثم يرى زوجته تحاكى البرميل والأفق

يحاكى السجن رغم أنه طليق وصديقه عثمان خليل سجين كل هذه الأوهام والاحاسيس تجعله يشم فى الجو شيئاً خطيرا ويرعبه احساس داخلى بأن بناء قائماً سيتهدم كل جزئيات الشكل أصبحت بمثابة نذر الشر تتطاير فى الجو حول البطل حتى فى الاسكندرية حيث الاستجمام والراحة يطارده الزحام والرطوبة ورائحة العرق ثم يجهده المشى كأنه يتعلمه لأول مرة والأعين ترقبه وهو يوسع الخطى حتى ينال منه التعب فيجلس على أول أريكة تصادفه فى طريق الكورنيش وقريبا سيخرج عثمان خليل رمز الماضى من السجن فيضاعف عذاب الوجود ولا يجد عندئذ مهرباً يلجأ إليه • ثم تتواتر الصور الموحية تلو الأخرى مانحة الشكل العام خصوبة درامية رائعة سواء أكانت هذه الصور نابعة من وجدان البطل أو متضمنة داخل الحوار على سبيل المثال نجد عمر الحمزاوى يسرح بفكره :

هاهى الشمس تتهاوى للمغيب قرص أحمر كبير امتص المجهول قوته وحيويته الباطشة فرنت إليه الأعين كما ترنو الى المساء وتدفقت حوله كثبان السحب وضاءة الحواف موردة الاديم فى مهرجان من الألوان (ص ٤٧) •

فالقارىء يحس أن كل آمال البطل فى حياة متجددة تتهاوى للمغيب بعد أن ذهب القدر بقوتها وحيويتها وتحولت الحرارة الكامنة داخل طموح البطل الى برودة تسرى

فى أوصال الهيكل العام تماماً مثلما ترنو الأعين الى الشمس كما ترنو الى المساء وكان تدفق كثبان السحب وضاءة الحوافى موردة الأديم فى مهرجان من الألوان رمزا خصباً وتعبيرا مكثفا لبريق هذه الحياة الزائف فعلى الرغم من تجمع كثبان السحب حول الشمس فى مهرجان من الألوان إلا أنها سريعا ما تزول كما يزول الطموح ثم تغرب الشمس ويحل الظلام واليأس والقلق والركود والخمود والضجر والملل والسأم وينطبق كل شىء معقول حول البطل بسخف حياته فإجابات زوجته العاقلة تخنقه وكأنها تستفزه وتصرفاتها العاقلة تغضبه بلا سبب حتى أنه يتمنى أن يثور البحر حتى أنه يتمنى أن يثور البحر حتى يطارد المتسكعين على شاطىء الاسكندرية وأن يرتكب السائرون على الكورنيش حماقات لا يمكن تخيلها وأن يطير الكازينو الكبير فوق السحب وأن تتحطم الصور المألوفة الى الأبد فيخفق القلب فى الدماغ وتراقص الزواحف العصافير وتستمر هواجس البطل على هذا المنوال معمقة للخط الدرامى العريق الذى يقوم بمثابة العمود الفقرى للشكل العام فنجد أنه كلما تعمق الخط الدرامى تحولت حياة البطل الى نوع من الكابوس يحمل كل مقوماته وخصائصه من لا معقولية وفقدان التوازن وانقلاب المقاييس والخروج عن المألوف والامعان فى العبث ولعل البطل يتخيل أن هذا اللامعقولية ربما استطاعت أن تطرد الملل والخمود من حياته ولكنها مجرد أحلام وأوهام مما يؤكد للقارىء الهاوية السحيقة التى يندفع إليها عم

الحمـزاوى حتى وصـل بـه الأمـر الى تخيـل أشـياء لا يمكن أن تقـع لأنهـا فى حيز المستحيل وبالتـالى أصـبح شقاؤه مستحيلا لا يمـكن أن ينجـو منـه كالقدر إلا بالهـرب ولذلك نجـده يقول لنفســـه :

« ما أشـد استجابة نفسـك لـ « تهـرب » كـأنهـا مفتاح سـحرى يلـقى إليـك فى جـب .. (ص ٤٩) .

وطالمـا ألحـت عليه الجمـلة التى سمعها من أحـد المتنازعين على أرض سليمان باشـا عندما قال « المهـم أن نكسب القضـية ألسـنا نعيش حياتنـا ونحـن نعـلم أن الله سيأخذها » .

وذلك عندما أشـار عليـه عمـر الحمـزاوى بقـوله تصـور أن تكسـب القضـية اليـوم وتمتلك الأرض ثـم تستولى عليهـا الحـكومة غـداً فلقـد سـلم عمـر الحمـزاوى بوجاهة منطقـه ولكنـه ذهـل وأحس بدوار مفـاجىء واختفى أمامـه كـل شىء ومن يومهـا بدأت أعـراض المـرض الخـفى لعـله أحس أنـه لا يعيش حيـاته وأنـه ربمـا مـات دون أن يحقق كيـانه كانسان ووجـوده كفـرد وأراد أن يحقق وجـوده ولكنـه لـم يكن يعرف الطـريق شـأنه فى ذلك شـأن الـرواد الأول الذين ربمـا ضحوا بحيـاتهم فى سـبيل اكتشاف المجهـول وأخـذ يحـاول التمتـع بكـل صـور النشـوة ولمحـات السعادة وفى سبيل ذلك هـرب من واقعـه وكـان يؤجـل مـالا يقـل عن ثلاث قضـايا من النهـار الواحـد وهـو مسـمر فى مقعـده ممدود السـاقين تحت المكتب يدخـن بـلا انقطـاع .

ويرى أستاذنا الدكتور « عبد القادر القط » أن تلك كانت بداية التحول الخطير فى نفس المحامى الناجح وهكذا بدأ تفكيره المريض فى معنى الحياة والموت وبحثه الدائب عن (سر الوجود) ولكن محال أن يكون هذا السؤال وهذا الجواب العابران سبباً حقيقيا فى إثارة تلك الأزمة المعروفة للناس جميعا وهما يشيران الى حقيقة أبدية معروفة لهم • ولابد إذن أن يكونا مجرد يد رفعت الغطاء عن نوازع محبوسة من الحاضر والماضى تدفقت بعدها الأحاسيس المكبوتة الأفكار الغامضة التى كانت تضطرب فى نفسه منذ زمن بعيد •

والحق أنه كانت فى نفسه ثلاثة تيارات مضطربة يمكن أن تخلق هذا الصراع أحدها فى حاضر حياته والآخران فى ماضيه البعيد فهو فى حاضره قد سئم الحياة الزوجية وراعه ما طرأ على زوجته الجميلة من تغير بمرور الزمن وما تخضع له علاقته بها وبأصدقائه من رتابة مملة وهو من ماضيه معذب الضمير لأنه من ناحية لم يمض فى كفاحه السياسى الذى بدأه فى مطلع حياته الى النهاية ذلك الكفاح الذى انتهى بزميل له الى السجن عشرين عاماً على حين أصبح هو المحامى الثرى المرموق ولأنه من ناحية أخرى قد هجر الفن والشعر وآمن من خلال ممارسته العملية للحياة أنه لا مكان للفن الصادق فيها وأن الفن قد أصبح مجرد لهو وتسلية فى عصر سيطر فيه العلم على الحياة سيطرة تامة •

ولاشك فى أن هذه الخيوط الثلاثة إذا تضافرت بصورة فنية ناجحة يمكن أن تدفع بمثل هذه الشخصية الى ما أصابها من ملال وقلق ويمكن أن تنتهى بها الى الإيمان بعبء الحياة وبأن وراء تلك المتناقضات قانونا أزلياً أكثر نظاما ومنطقاً . فإلى أى حد وفق نجيب محفوظ فى استخدام تلك الخيوط الثلاثة ؟

الحق أن تلك الخيوط لم تتضح بصورة متساوية فى الرواية ولم يلتحم بعضها ببعض كما كان ينبغى . فاحساس المحامى بماضيه السياسى ومأساة صديقه السجين احساس شاحب لذكرى بعيدة طواها النسيان تظهر من حين الى اخر فى وخز خفيف من ألم الضمير . وحين يلقى صديقه بعد خروجه من السجن لا نشعر بأن هذا اللقاء كان له وقع حقيقى فى نفسه أما حياة الشعر فلا يمثل — كما صوره نجيب محفوظ — عذاباً صادقا يمكن أن يشارك مشاركة حقيقية فى خلق أزمته فهو يناقش الأمر مع صديقه ومع ابنته الشاعرة مناقشة منطقية جامدة فيها كثير من الاقتناع بالمسلك الذى اتخذه وإيمان ساذج بضرورة اللجوء الى العلم وحده . وحديثه عن هذين الجانبين الهامين من ماضيه وتفكيره فيهما . لا يدخلان فى نسيج الرواية على نحو جدى ممتد ولا يتفاعلان مع سلالة من حياته الحاضرة بل يكتفى نجيب محفوظ من ذلك بأن ينثر فى الرواية عبارة هنا وعبارة هناك ليطفو هذان الجانبان على سطح الأرض .

أمـا اللحظـة الحـاضرة فى حيـاة تلك الشخصية فقد ظفـرت بأكبـر قسـط من الأسـتاذ نجيب محفـوظ • حتى ليشعر القارىء بأن سـأم المحـامى من زوجتـه ورقـابة الحيـاة العائلية هـو أزمتـه الحقيقية • وقـد أكـد هـذا الشعور تلك الطريقـة التى لجـأ إليهـا لمحـاربة هـذا السـأم وربمـا يكـون هنـاك رؤية أخـرى لنجيب محفـوظ • فهـو يريـد أن يبـرز أزمـة عمـر الحمـزاوى بشـكل واضـح وباعتبـاره أهـم حـدث فأزمـة عمـر نابعـة • أولا من داخـله لأنـه كمـا يقـول(٥) • أنـه يتقـزز من المـال والعمـل وزينب لأنـه يتقـزز أولا من نفسـه فهـو يتقـزز ثانيـة من أولئـك جميعـا وكـأن نجيب محفـوظ أراد أن تكـون أزمـة عمـر النفسية هى الأزمـة الحقيقيـة فى الروايـة الناتجـة أولا من نفسـه ثـم زوجته ورتابة الحيـاة لأن كـل ذلك مترتب على مافى نفسـه من قـزازة •

وعن اندفـاع عمـر فى الملذات الجنسـية وترتيبـه وتخطيطه لهـا • يـرى عبد القـادر لقـط(٦) فى ذلك ما يتنـافى مع ما بـه من قـلق نفسى • فهـو يقـول فى ذلك « فقـد اندفـع ـ عمـر ـ فى نزق وراء المـلذات الجنسـية على نحـو ممتـد طويل لا يمكن أن يوحى بالقـلم الوجـودى الذى يخـزى صـاحبه ولا بدع لـه مجـالا لمثـل هـذا الاستقرار الطـويل فى عـلاقة جنسية واحدة مع وداد راقصـة الملهى الليـلى وهـو يفعـل ذلك بطريقة منطقية

---

(٥) الروايـة ص ٥٠ •

(٦) فى الأدب العـربى الحـديث ، د• عبد القـادر القـط .

جامدة واعية • إنه يدرك أنه مريض ويحاول أن يلتمس لنفسه وسائل الشفاء بأسلوب فيه من التخطيط والتدبير ما يناقض ذلك القلق الوجودى الحاد • صفحات طوال نقضيها معه • وهو يزور الملهى الليلى ويجالس تلك الراقصة ويركب معها عربته الفاخرة ويؤثث لها عشاً جميلا يقضى فيه معها الليالى الطوال دون أن يظفر بما يشير الى أزمته الحقيقية إلا فى عبارات متناثرة هنا وهناك فى حوار مع الراقصة أو مع صديق فيه من الجذابة والبرود ما يتنافى مع نفسه القلقة المعزبة • أكثر من سبعين صفحة كاملة فى رواية لا تبلغ صفحاتها المائتين » •

ولكن نرى رؤية أخرى فى ذلك — مع الفارق الكبير الذى ينظر به أستاذنا الدكتور عبد القادر القط • وإن كان هذا الفارق لصالح سيادته لما بينه وبينى من فرق فهو أستاذ وناقد كبير على دراية كبيرة من الدراية والخبرة ، الفنية ولكن رؤيتنا هذه من قبيل التفكير الجديد فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ان ذلك الذى دفع عمر الى هذا هو ذلك القلق الكبير والحيرة المعقدة وإن مافى ذلك من تكنيك ليتفق مع كثير القلق الحاد من داخله أولا قبل معاناته من زوجته ورتابة الحياة — كما يرى أستاذنا الدكتور الفاضل — لأنه يريد أن يفكر وأن يثبت وجوده مثاله فى ذلك مثال اللص مثلا الذى يسرق فهو يدبر لسرقته بإحكام عجيب أو كالقاتل الذى يدبر لجريمته تدبيرا دقيقا مع أن كل منهما يعرف أن ذلك حرام ولكن لحاجة فى نفس كل

منهمـا يفعـل ذلك من أجـل تحقيـق شيء مـا فى نفسـه وذلك تمـاماً مافى نفس عمـر .

ثـم يمضى نجيب محفـوظ فصـولا كثـيرة فى روايته مبـرزا حيـاة أشخاصه مثـل خـروج عثمـان من السـجن وتفاصـيل لقـائه بصديقيه عمـر ومصطفى واشتغاله مع عمـر وزيارة متبادلة بين الأصـدقاء ثـم من زواج عثمـان بابنـه عمـر تلك الشاعرة الفاتنـة وحيـاة مصطفى وحيـاة عمـله فى الاذاعـة .

ويبـرز فصـولا عـدة أيضـاً لمـا يقضـيه عمـر فى الملاهى والمـلذات الجنسـية والفـراغ النفسى ثـم نزوعـه وبقـاءه فى خـلوته الى أن تدب حيـاة جـديدة فى أحشـاء زينب زوجتـه . ويقـول فى ذلك دكتـور نبيـل راغـب (٧) « وفى أثنـاء هـذه الحيـاة العقيمـة تدب حيـاة جـديدة فى أحشـاء زوجتـه لكى تنعكس النغمـة المناقضة على حيـاته . لقـد سـمع دقات ناقوس الإنـذار وقـال لنفسـه إنـه بشيء من الشـراب سيطرد الفتور ويمثـل دور الحـب كمـا يمثـل الزوجيـة والصـحة وليلتهـا نـام سـاعات معـدودات ثـم استيقظ مبـكرا وطـرق أذنيـه صـخب الأمـواج العاصـف فى سـكون الصباح المعتـم أى أنـه فى كهفـه لا يستطيع الوصـول الى هـذه الحيـاة المنطلقة المتجددة المتدفقـة وبجـواره زينب مستغرقة فى النـوم . مكتظـة بالنـوم والشـبع تنفـرج شفتاها عن شـخير خفيف متواصـل . مشعثة

---

(٧) د. نبيـل راغـب ، قضـية الشـكل الفنى ص ٢١٨ .

الشـــعر ... وهـــو متضـــايق كأنمـــا كتب عليـــه أن يناطح نفســـه فلقـــد أصبحت رمـــزا للمـــلل والركـــود فى حيـــاته الآســـنة لـــم يعـــد يحبهـــا بعـــد الحب القـــديم والعشرة الطـــويلة والذكـــريات المليئـــة بالوفـــاء وهـــذا أشـــقى ما يلاقى من تجـــارب .. ثـــم يختـــلط الحـــاضر بالمـــاضى فى ذهـــن البطـــل . ويعقـــد الوجدان مقـــارنة تحمـــل كـــل أوجـــه التناقض بين زينب يـــوم أن تزوجها وزينب الآن الراقـــدة بجـــواره فيبـــرز خطـــا التناقض ووجههـــا الصـــراع اللذان يمزقـــان كيـــان البطـــل من الداخـــل » .

وتبـــدأ بعـــد ذلك المحـــاولات لارجـــاعه الى البيت مـــــرة ثانيـــــة .

ويعرض نجيب محفـــوظ مادار فى الحديقة بين عمـــر الحمزاوى وعثمـــان خليـــل من حـــديث وحـــوار ومن مطـــاردة الا من مـــرة ثانيـــة لعثمـــان وأمـــر الطلق النارى الذى أصاب عمـــر وما دار فى رأس عمـــر من أحـــلام وأشـــباح للاشخاص فى تلك المحنة الكبيرة يكـــون الألـــم قـــد طهـــر نفسية عمـــر بعـــد أن بـــدد الكثـــير من حيـــاته فى لا شىء كمـــا قـــال لـــه عثمـــان خليـــل : —

« يالك من أحمـــق بددت مجـــدك فى البحـــث عن شىء غـــير موجـــود » (ص ١٨٧ الروايـــة) وكـــان عليـــه أن يجتـــاز المحنة التى يجب أن يمـــر بهـــا الباحثـــون عن الخـــلاص وقـــد وجـــد الخـــلاص أخـــيرا فى الألـــم وهـــو الهـــارب دومـــا من الألـــم عندما عـــادت اليـــه الحيـــاة فأحس لوجوده معنى جـــديدا إذ أن

الحيـاة لـم تكن تريـده فربمـا كانت قـد لفظتـه .. ولـكن المعنى الجـديد فى حيـاته الجـديدة يتركـز فى أسـرته المحتـاجة إليـه ... ووليـد بثينـة المنتظـر .. هى الحيـاة دائمـا أبـدا تجـدد نفسها فى الأوقـات التى يظـن فيهـا الانسـان أنهـا قـد بلغت أجـدب مراحـل العمـر .

بهـذا الأسلوب يضـع الكاتب هـذه الملمحـة على الشـكل العـام لكى تمنحـه اللمسـة النهائية ويسـرى بعـد فى وجـدان القـارىء بعـد أن أثـار عواطفـه وأحساساته .. ولكن لم يتركها دون تنظيـم .

بـل أحـس القـارىء بذلك من خـلال الاستيعاب بالتنظيـم التدريجى لأحاسيسه المثـارة .. حتى تأتى اللمسة الأخيرة ويتكامل الشـكل الفنى العـام ويصـل الأشـعاع العاطفى لدى القـارىء الى ذروتـه .. ويتـرك العمـل الفنى انسـاناً يختلف عن ذلك الانسـان الذى شـرع فى قـراءته منـذ برهـة .. ،ثلمـا تفعل كـل الأعمـال الفنيـة العظيمـة فى النفس البشـية(٨) .

وبالرغـم من أن عمـر لا يمـوت فى النهـاية ويعود ثانيـة فـإن جـو المأسـاة يظـل مسيطرا فقـط اتخـذ عمـر منـذ البدايـة سـمات الضحية . كمـا يتضـح فى الملاحظـة الخاصـة بالصـورة المعلقـة على جـدار حجـرة الانتظار فى عيـادة الطبيب « صـورة زيتيـة رخيصـة القيمـة » كمـا يقـول (وبهـا طفل

---

(٨) د. نبيـل راغـب السـابق .

ممتطياً جواداً وشاخصاً الى الأفق) فنجد عمر يفكر فى السجن اللانهائى ثم بعد قليل يقول « كثيرا ما أضيق الدنيا بالناس ، بالأسرة نفسها » وفى الواقع أن جو الرواية العام خانق ومغلف بالمرارة .

ألم يخطر ببالك يوماً أن تتساءل عن معنى حياتك ويستمر على هذا المنوال « اشدد قبضتك على الأشياء وانظر إليها طويلا فعما قليل ستختفى ألوانها ، ولن يكترث بها أحد — ما أشد استجابة نفسك لـ « تهرب » كأنها مفتاح سحرى يلقى بك فى جب وإذا نحن حاولنا ربط هذه المأساة بالنص وجدنا أن الرواية تشتمل على ثلاثة عشر فصلا ترتبط بطبيعة الاحباط على نحو يؤيد سيطرة جو المأساة الذى يسود النص فى حين أن الطبيعة التفاؤلية فى النص ستة فصولا فقط .

والآن نود أن نبرز رسماً تخطيطياً لأهم شخصيات نجيب محفوظ وهى عمر ثم عثمان ثم مصطفى من التحليلات السابقة يبرز حياة عمر ومأساته وقد أبرزتها الدكتورة هدى وصفى فى تخطيط مشكلة كالآتى :

ومن خـلال ذلك نجـد أن حيـاته تنقسـم لى عشرة أجـزاء خمسـة أجـزاء ذات طبيعـة تفاؤلية وخمسـة ذات طبيعة إحباطية كـالآتى :

١ ـ الـزواج ٢ ـ الاحبـاط ٣ ـ الهـروب

٤ ـ هجر المجتمع ٥ ـ رد الفعل ٦ ـ اللامبـالاة

٧ ـ السعى الروحى ٨ ـ الهـذيان ٩ ـ محاولة عثمان

١٠ـ البـلادة .

وإننـا نختلف مع "دكتورة فى ذلك التخطيط لأنهـا تجعـل نهـايته هى البـلادة وذلك مـالا يتفق مـع الروايـة لأن عمـر يقـول فى آخـر الروايـة : إن كنت تريدنى حقـاً فلمـا هجرتنى ،مـا يوضـح عـودته للحيـاة مـرة ثانيـة ويمكننـا أن نمثـل ذلك فى تخطيـط سـهل كالآتى :

حيـاة نجـاح ....

حيـاة فشـل ....

٢ ـ وبتـأمل شخصية مصـطفى فى الروايـة نجـد أنهـا تتمثـل بين النجـاح والفشل ثـم الرضـاء بالواقـع فهـو بـدا مثـل عمـر فناناً واشتراكيا ثـم ما لبث أن نبـذ الفن والاشتراكية

ليبيع اللب والنشار — على حد قوله — عن طريق الاذاعة والتليفزيون ويمكننا تمثيل شكله التخطيطى كالآتى :

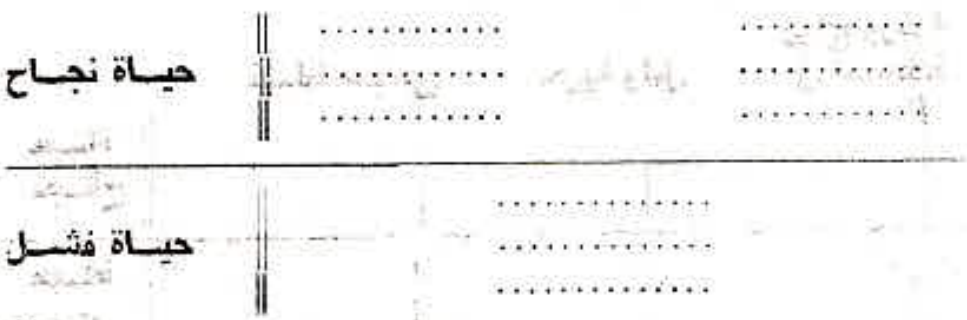

وفى مقابل هاتين الشخصيتين نجد شخصية عثمان خليل الذى تحمل عنهما عذاب السجن داخل سجنه يؤرق ضميرهما وخرج من سجنه أخيرا وهو مايزال مؤمناً بمبادئه فى حل مشاكل العالم وهكذا تقابل رجل خارج من السجن الى الدنيا ورجل يتحفز للخروج من الدنيا الى عالم مجهول . واكتشف عثمان أن صديقه تطور الى الوراء بينما تطور الوطن الى الأمام وعندما أفهمه مصطفى أن صديقهما عمر يبحث عن معنى لوجوده قال : عندما نعى مسئوليتنا حيال الملايين فإننا لا نجد معنى البحث عن معنى ذواتنا . فتساءل عمر أترى هل تموت الأسئلة إذا قامت دولة الملايين وأجاب عثمان : العلماء يبحثون عن سر الحياة والموت بالعلم لا بالمرض والانسان لن يبلغ أية حقيقة جديدة بهذا الاسم الا بالعقل والعلم والعمل . ولكن مرض عمر كان أقوى منه فقال بنصيحة آن الأوان لأن أفعل ما لم أفعله فى حياتى وهو ألا أفعل شيئا .

ومن ذلك نستطيع أن نجد رسماً تخطيطياً لحياة عثمان خليل ترسمه الدكتورة هدى وصفي ونتفق معها تماماً فى هذا الرسم وهو كالآتى :

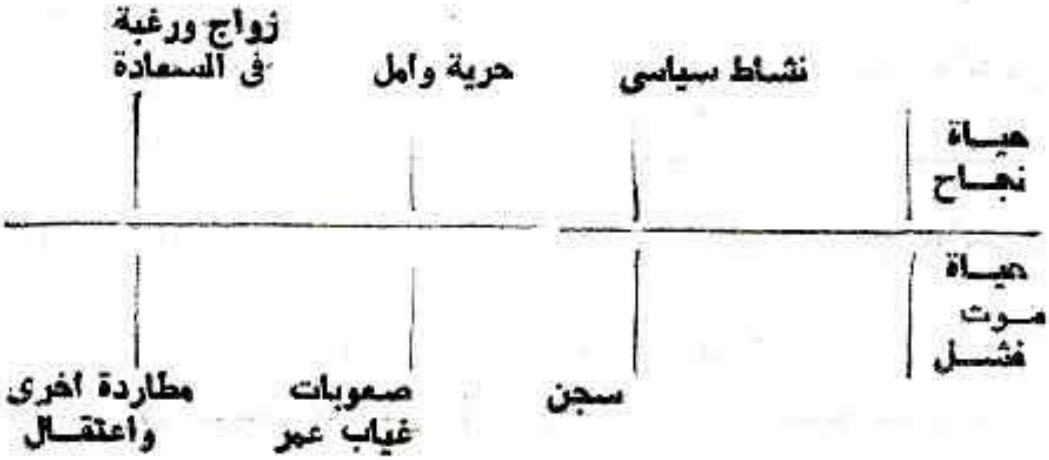

وواضح أن الأستاذ نجيب محفوظ يضع فى مقابل الشخصية التى استسلمت ـ عمر ـ الوجه الآخر للمقاومة ـ عثمان ـ ويتم من خلال زواج عثمان وبثينة ارتباط الثورة بالشعر أى ارتباط الثورة بالأمل والتطلع الى مستقبل أفضل .

الخاتمـــــة

وفى النهـاية بعـد أن قدمنـا ذلك العـرض لـملامح التطور الـروائى عند نجيب محفـوظ ودراسـة لروايـة الشـحاذ ..

نبين لـماذا اخترت نجيب محفـوظ ولـماذا الشـحاذ ..

(أ) اخترت نجيب محفـوظ لأنـه :

١ ــ يعـد أمهـر كـاتب روائى عـربى وذلك ما يراه الأستاذ الدكتـور أحمـد كمـال زكى .

٢ ــ لأنـه يمثـل ظاهـرة فـريدة بكتابته المتنوعة والمتعـددة فى مجـال الروايـة .

٣ ــ لأن لغتـه لغـة متميـزة .

٤ ــ لأسلوبه المتميـز والمتجـدد فى كـل أعمـاله .

٥ ــ لكثـرة الكتابات حـوله وفـوزه بجـائزة نوبـل .

(ب) لمـــاذا الشـــحاذ ؟

١ ــ لأن عنوانها يستدعى التعـرف عليهـا .

٢ ــ لأن فيهـا من الأحداث ما يحتاج الى عمق فى التفكير .

٣ ــ لاستطاعة نجيب محفـظ أن يبـرز عملا فيـه كـل هـذا التكنيـك .

٤ ــ لأن لغتهـا لغـة شـاعرية .

د — ربما لأنها تمثل أكثر من غيرها نوعا من القصص الذى يستعين بالمونولوج أو الحوار الداخلى • وذلك ما تراه أيضا الدكتورة هدى وصفى •

وعن الشحاذ يقول دكتور نبيل راغب أنها أثبتت مقدرة نجيب محفوظ الفائقة مع تطور أدواته التى يستخدمها فى إبراز ملامح الشكل الفنى لروايته دون التقيد بقالب معين مثلما يفعل كتاب القصة التقليدية • فعندما أحس أن الشكل الجديد السائد فى فرنسا الآن يستطيع أن يخدم مضمونه الجديد أيضا فى « الشحاذ » لم يتردد فى أستعماله وأخذ منه التشكيلات التى تغير جزئيات عمله ولكنه مع ذلك لم يتطرف الى استعمال الشكل الفنى للرواية الجديدة التى ترعرعت على أيدى الان روب جربيه ، ونرجريت دورا وميشيل بوتور فى فرنسا ، وايتا لوس فينو فى ايطاليا أيضا بالرغم من أنه من الجيل السابق من كتاب أوربا من رواد الرواية الجديدة • ومن أهم مشكلات الرواية الجديدة مشكلتان •• الأولى هى خلوها من البطل التقليدى الذى تتركز حوله المواقف والأحداث — وهذه لم يستعملها نجيب محفوظ فى الشحاذ بل جعل من وجدان بطله عمر الحمزاوى بؤرة الاحساس الدرامى فى الرواية كلها •• ولكن نجيب محفوظ استفاد من المشكلة الثانية الجديدة وهى تحديد علاقة الانسان فيها بالعالم الخارجى المحيط به من جمادات وأحياء •

ثبت بمصادر البحث

١ ــ كتاب الروائيون الثلاثة • تأليف يوسف الشارونى ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٨٠ م •

٢ ــ قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ ، تأليف دكتور نبيل راغب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٩٨٨ م•

٣ ــ قراءات فى نجيب محفوى • د• يحيى الرخاوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٩٩٢ •

٤ ــ فى الأدب العربى الحديث ، تأليف الدكتور عبد القادر القط •

٥ ــ دراسات فى النقد الأدبى • د• أحمد كمال زكى •

٦ ــ مجلة فصول (الأدبية) ــ أعداد مختلفة •

٧ ــ مجلة إبداع (الأدبية) ــ أعداد مختلفة •

٨ ــ دراسة الدكتورة هدى وصفى ــ تحت عنوان : دراسة نفس بنيوية للشحاذ ــ مجلة فصول ــ •

٩ ــ دجلة الآداب ببيروت ــ أعداد مختلفة ــ •